الكفاءة بين الزوجين في الإسلام

الدكتور محمد الغمراني

ترجمة: محمد هادي اليوسفي

قضى الاسلام على التمايز الطبقي الفارغ عن التفاضل على اساس الفضائل الانسانية ؛ وأعلن : أن «لافضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي الا بالتقوى» : « ان اكرمكم عند الله اتقاكم» (١) وبدل التفاضل الطبقي في الروابط الاجتماعية بأصل الاخوة الاسلامية فقال :«انما المؤمنون اخوة» (٢) والتي هي من اعلى نماذج السياسة الاجتماعية بين الافراد في المجتمع العقائدي الواحد.

ومع ذلك ؛ فانا نشاهد الفقه الاسلامي في مسائل الزواج ـ وهي التي تشكل أساس الاسرة في هذا المجتمع ـ قد شرح لاتباعه أصلا ثالثا لئلا يكون من شأنه ـ اذا روعي ـ أن يضمن للزوجين ومن وراءهما للاسرة السعادة والرفاه ، وذلك الاصل هو الذي يطلق عليه في المصطلح الفقهي الاسلامي لفظ «الكفاءة» ، فقد أولى فقهاء الاسلام هذا الاصل في كتاب النكاح في الفقه الاسلامي اهتماماً خاصاً ، حيث أنهم جعلوه أهم العوامل في تحكيم روابط الزواج والاسرة ، وروى في هذا الاصل من أصول روابط الاسرة في الاسلام أحاديث كثيرة عن النبي والائمة الهداة

www.noormags.com

عليهم السلام والصلاة، والتى تدل جميعها على الاهمية الخاصة «للكفاءة» .

ولاجل أن يتضح لنا مفهوم «الكفاءة» فى الاسلام ؛ لابد لنا أن نورد بعض الاحاديث التى تفسر لنا معنى «الكفاءة»؛ فهاهو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخاطب الاباء والامهات فيقول: «ياأيها الناس ؛ ان الابكار بمنزلة الثمر على الشجر ؛ ان لم تجتن أفسدتها الشمس، وكذلك الابكار اذا أدركن ماتدرك النساء فليس لهن دواء الا البعولة ، والا لم يؤمن عليهن الفساد ،لانهن بشر . فقام اليه رجل فقال : يارسول الله ؛ ومن نزوج ؟ فقال: «الاكفاء» (٣) ثم فسر «الكفاءة» فى حديث آخر له(ص) فقال :«اذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه ، فزوجوه» (٤) .

فالملاحظ فى هذا الحديث أنه فسر «الكفاءة» فى الحديث السابق بالدين والخلق . . وان لنا فى حديث آخر عن الامام الصادق عليه السلام توضيحاً اكثر اذ فسر الكفاءة فقال :«الكفؤ : أن يكون عفيفاً» (٥) وكلنا يعلم أن للعفاف معنى وسيعاً يجمع الخصال الحسنة والصفات الطيبة .

وعلى أى حال؛ فانا نفهم من مفاد هذه الاحاديث الثلاثة : أن لاعلاقة للكفاءة فى الاسلام بالامور المادية أبداً ؛ وانما تعنى الحالة المعنوية للخاطب أو الخطيبة .

وهذا يعنى أن الاسلام يولى اهتماماً خاصاً بالحياة الزوجية من ناحيتها الروحية لا الكيفية .

والخلاصة : أن الاسلام حينما اعتبر «الكفاءة» فى الزوجين عند الزواج ؛كان يهدف الى تقرير عامل مهم فى استقرار روابط الاسرة فى المجتمع الاسلامى ونحن يمكننا أن نعبر عن هذا الاصل : بالتوافق الاخلاقى والروحى بين الزوجين من أى طبقة أو صنف كانوا ، من دون أى نظر الى الاعتبارات المادية الزائفة الزائلة .

وذلك لان الصلاحية واللياقة الزوجية يجب أن تبتنى على أمور ذاتية موجودة بوجود الزوجين .

فيجب على كل من الزوجين أن

www.noormags.com

يرى خطيبه لايقاً له من النواحي الدينية والاخلاقية والروحيةوالمعنوية ،لابالنظر الى العوامل الماديةوالامكانات الدنيوية.

ان للفظ «الكفء» معنى و سيعاً لايتحدد بحدود وقيود معينة ، ولذلك فكل يفسره حسب ذوقه وسليقته الشخصية بما يبعد عن الواقع والحقيقة غالباً ، أو يطبقه على السنن الاجتماعية والعناوين الاعتبارية في الحياة الشخصية السائدة اليوم، والتي لاتلعب أي دور في شخصية الفرد من الرجل والمرأة .

ومن المؤسف حقاً أن اكثر العائلات اليوم تحكم على «الخطبة» بنفس هذه الاحكام غير الصحيحة والبعيدة عن الحقيقة والواقع في الكفاءة الزوجية بين الخطيبين ولربما أوردوا بأحكامهم الجائرة هذه

أقسى الضربات المحطمة للشخصية الواقعية للرجل والمرأة ، وأورثوا تزلزلا في المباني الانسانية بين الاسر في المجتمع المسلم !

فلتفكر الاسر المسلمة ذات النظرة الواقعية في هذا الاصل الاسلامي الهام ولتتأمل اكثر ،ولتعلم أن مفهوم «الكفاءة» في الاسلام ليس يعني التفاوت الطبقي في الجامعة المسلمة ؛ وانما تعني أن تجعل من اللياقة الشخصية الدينية والاخلاقية الروحية والمعنوية : عامل تفاهم وتعايش سلمي أخلاقي اسلامي بين الزوجين ،بل تحاول ـ اكثر من هذا ـ أن تحصر كل ما هنالك من دعاوى الفخر و المباهاة بين الاسر المسلمة في هذه الجهة الدينية الاخلاقية ، وتطرح جانباً كل ما هنالك من المفاهيم القشرية الزائلة غير الهادفة في الحياة الزوجية والاجتماعية بين المسلمين ، والتي لاتستطيع أن تؤمن للزوجين السعادة والرفاه الروحي والخلقي.

وليس بخاف أن كثيراً من الاضطرابات العائلية انما نشأ من عدم رعاية هذا الاصل أو نتيجة للتلاعب به تفسيراً أو تطبيقاً وتوجيهاً طبق هوى النفس من قبل اناس كثيرين.. يدور بخلد كل واحد منا الان انماط من نماذج هذا النوع من «الكفاءة» مما لاحاجة لنا معها الى ذكر مثال لذلك . .

ومن المؤسف حقاً أيضاً أنا مع ما نرى من الاضطرابات في الزواج في هذا المجتمع بناء على هذه الاسس المغلوطة لانرضى أن نرفع اليد عن هذا التقليد الاعمى ، وأن نقعد فنفكر في مصير حياتنا .

www.noormags.com

ملاحظة للمترجم

كان هذا المقال تعريباً لمقال الدكتور محمد الغفراني وهو يمثل الجانب الايجابي من الفقه الامامي في مسألة الكفاءة الزوجية ،ولا يخفى ان المسألة ليست موضع اتفاق في الفقه الاسلامي ، بل هي مسألة خلافية تأخذ مجالا واسعاً من الفقه المقارن فالفقه الامامي ـ كما مر ـ لايشترط في الزوج للكفاءة الزوجية اكثر من شرطين أساسيين هما : الدين ، واليسار ، ثم يفسر اليسار بما يتمكن معه الزوج من حفظ كرامة زوجته عما لايليق بها وشأنها . بينما يختلف فقهاء سائر المذاهب الاسلامية في شروط الكفاءة الزوجية اختلافاً ليس بالقليل؛ وهذا ماسنوضحه في مقال مستقل انشاء الله .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(١) سورة الحجرات، الاية ١٣ .
(٢) سورة الحجرات ايضاً ، الاية ١٠ .
(٣) وسائل الشيعة ج ١٤ باب ٢٣ ج ٢ ص ب ٣٩ .
(٤) وسائل الشيعة ج ١٤ ص ٥١ باب ٢٨ ح ١ و ٢ و ٣ .
(٥) وسائل الشيعة ـ ج ١٤ ص ٥١ باب ٣٨ ح ٤ و ٥ و ٧ عن فروع الكافي ومن لايحضره الفقيه ، والتهذيب ، وفي آخره : «وعنده يساره» .

www.noormags.com